فلما سمعهم الشيخ صرخ صرخة عظيمة ورقص رقصا كثيرا في وسط السوق ورقص معه
ناس كثير من المارين في الطريق حتى صارت جولة عظيمة وسماعا عظيما وتواجد الناس
الحان سقط اكثرهم الى الارض والحراس والحراس يكررون ذلك وخلع الشيخ كلما كان
عليه ورمى به اليهم وخلع وخلع الناس معه ثيابهم وجعل بين الناس والجامع الازهر وهو
عريان مكشوف الراس ولم يبق عليه سوى لباسه واقام في هذه السكرة اياما ملقى على ظهره
مُسَجًّى كالميت فاذا افاق جاء الحراس اليه ومعهم ثيابه وقدموها بين يديه فلم ياخذها
وبذل الناس لهم فيها مثلها كثيرا فمنهم من اباع ومنهم من امتنع من بيع نصيبه واخذه عنده
تبركا به. وحكى لي رحمه الله قال كان الشيخ ماشيا في شارع الاعظم بالقرب من مسجد
عثمان وكنت معه وانا بحالة تنوع وتندب على ميتة في طبقة فانشا يجاوبها ويقول
ستي متى حقا اي والله حقا حقا
فلما سمع الشيخ صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما افاق صار يقول مرارا
نفسي متى حقا اي والله حقا حقا
وحكى لي رحمه الله قال كان الشيخ جالسا في جامع الازهر على باب قاعة الخطابة بالقرب
من منبر الخطابة وعنده جماعة من الامراء والفقراء وفيهم جماعة من مشايخ الاجام
المجاورين بالجامع وغيرهم وكلما ذكروا حالا من احوال الدنيا مثل الطشت خانات وغير
ذلك يقول كل منهم هذا من زخرف البحر فيما هم يتفاوضون بهذا ويفحصون زخرف البحر
والموتون رفعوا اصواتهم بالاذان جملة واحدة فقال الشيخ وهذا زخرف البحر. وحكى لي رحمه
الله قال كان السلطان الملك الكامل رحمه الله يحب اهل العلم ويحاضرهم في مجلس مختص
بهم وكان يميل الى فن الادب فتذاكروا في وقت اصعب القوافي فقال السلطان من
اصعبها اليا الساكنة فمن كان منكم يحفظ منها فليذكره فتذاكروا ذلك فوجدوا زاهد منهم
عشرة ابيات فقال السلطان انا احفظ منها خمسين بيتا وذكرها فاستحسن الجماعة
ذلك منه فقال القاضي شرف الدين كاتب سره انا احفظ منها مايه وخمسين بيتا
قصيدة واحدة فقال السلطان يا شرف الدين جمعت في خزانتي اكثر دواوين الشعراء

5

الجاهلية والاسلام فانا احب هذه القافية فلم اجد منها اكثر من الذي ذكرته لكم
فانشد في هذه الابيات فانشده قصيدة الشيخ ابا ئية التي مطلعها
سابق الاظعان يطوى البيد طى منعا عرج على كثبان طى
فقال يا شرف الدين لمن هذه القصيدة فلم اسمع بمثلها وهذا نفس عجب فقال هذا نظم
الشيخ شرف الدين ابن الفارض فقال وفي اى مكان مقامه فقال كان مجاورا بمكة وفي
هذا الزمان حضر الى القاهرة وهو الان مقيم بقاعة الخطابة بجامع الازهر فقال
خذ منا الف دينار وتوجه اليه وقل له عني ولدك محمد يسلم عليك ويسالك ان
تقبل هذه منه برسم الفقراء الواردين عليك فاذا اقبلها اساله الحضور الينا لناخذ
حظنا من بركته فقال مولانا السلطان يعفيني من هذا فاني لا استطيع ان اخاطبه
فيه وان خاطبته لاجل مولانا السلطان فانه لا ياخذ الذهب ولا يحضر ولا اقدر
بعد ذلك ادخل اليه حياءً منه فقال لا بد لي من ذلك فاخذ الذهب وتركه مع انسان
محبته وقصد مكان الشيخ فوجده واقفا على الباب ينتظره فابتدره بالكلام وقال يا شرف
الدين مالك ولذكرى في مجلس السلطان رد الذهب اليه ولا ترجع الي سنة كما ملة
فرجع وقال للسلطان وددت ان افارق الدنيا ولا افارق رويه الشيخ سنة فقال
السلطان مثل هذا الشيخ يكون في زماني ولا ازوره فلا بد لي من زيارته ورؤيته فنزل
السلطان في الليل الى المدينة مستخفيا هو وفخر الدين عثمان معه وبات في دار المهندار التي
قبالة جامع الازهر ودخل الى الجامع بعد العشا ومعه جماعة من الامراء الخواص عنده
وقفل على باب قاعة الخطابة التي يجوار المنبر فخرج الشيخ من الباب الاخر الذي بظاهر
الجامع الازهر ولم يجتمع بهم وسار الى ثغر الاسكندرية واقام بالمنار ثم رجع الى الجامع
وبلغ السلطان حضوره وانه متوعك المزاج فارسل اليه فخر الدين عثمان يستاذنه ان يجهز
له ضريح عند قبر والدته بقبة الشافعي فلم ياذن له بذلك ثم استاذنه ان يبني له تربة تكون
مزارا يختص به فلم ياذن له بذلك ثم نقل من ذلك التوعك وعافاه الله منه. قلت
حضرت انا في مسجدي على نية الزيارة القاضي امين الدين بن الرقاقي وكان له اعتقاد

Copyright © King Saud University